الفَصْلُ الأَوَّلُ

الإطار النظري

- **أولًا: المقدمة**

شهدت **حركة النهضة** -ذات المرجعية الإسلامية- ثلاث محطات تاريخية مهمة، الأولىٰ: محطة التشكيل الفكري والسياسي في عهد **الحبيب بورقيبة** (١٩٧١-١٩٨٧)، والثانية: محطة الاندماج السياسي، والمراجعة الفكرية في عهد زين العابدين بن علي (١٩٨٧-٢٠١١)، أما الثالثة: فكانت تجربة الحكم (٢٠١١-٢٠١٤).

في المحطة الأولىٰ؛ وتحديدًا في فترة السبعينيات استؤنف المشروع الإسلامي الإصلاحي بقيادة الحركة الإسلامية التونسية التي أطلقت علىٰ حركتها فيما بعد تسمية «**الجماعة الإسلامية**»، وَفقَ صيغة دعوية وتبليغية ترتكز علىٰ مقاومة تهميش الهوية الإسلامية والعربية التي قادها **الحبيب بورقيبة** بمشروعه التحديثي، الذي تم تدشينه بعد الاستقلال في العام ١٩٥٦، في البِنَىٰ السياسية والاجتماعية والثقافية.

لقد انطلقت **الحركة الإسلامية في تونس** -منذ نشأتها في بداية السبعينيات- من فكرة مقاومة التغريب والعلمانية المتطرفة؛ بخطاب فكري إسلامي متأثر بالأطروحات الإسلامية المشرقية الداعية إلىٰ

إحياء المكوِّن الإسلامي في المسألة السياسية والثقافية والاجتماعية. ولكن سرعان ما انتبهت هذه الحركة إلىٰ مسألة أكثر أهمية من تسويق الخطاب الديني المشرقي؛ تلك هي: خصوصية البيئة التونسية وواقعها الاجتماعي والثقافي، وخاصةً بعد اعتراف قادة الحركة بأنه لا يمكن فرضُ أفكار مستوردة من الخارج علىٰ المجتمع التونسي. ولعلّ ما شهدته **تونس** من مشاهد سياسية محتقنة في نهاية السبعينيات خلال الانتفاضة العمّالية علىٰ وجه الخصوص؛ لخير دليل علىٰ عدم جدوىٰ تلك الأفكار، وضعف تأثيرها الاجتماعي والثقافي. وربَّما من أهم التغييرات الداخلية التي شهدها عقلُ **الجماعة الإسلامية**؛ هو ظهور نقد الأطروحات الإسلامية المَشرقية، والبحث عن أفكار ملائمة للبيئة التونسية وخصوصيتها، تُمَكِنُها من التفاعل مع المجتمع والتغلغل فيه. يضافُ إلىٰ ذلك تغيير اسم الحركة من «الجماعة الإسلامية» إلىٰ «**الاتجاه الإسلامي**» في العام ١٩٨١.

أما في **المحطة الثانية**؛ خلال حكم **زين العابدين بن علي**، فقد خرجت حركة «الاتجاه الإسلامي» من مأزق العزلة السياسية والمرحلة الدعوية إلىٰ طور الحركة الاحتجاجية -**حركة النهضة** في العام ١٩٨٨- ومرحلة الاصطدام بالسُّلطة بعد تزوير نتائج الانتخابات البرلمانية في العام ١٩٨٩، والتي تجلَّىٰ فيها حجمُ الحركة شعبيًا وانتخابيًا. ومنذ ذلك التاريخ؛ أصبح «**الاتجاه الإسلامي**» من الأحزاب المحظورة التي تطاردها السلطة، وتَشَتَّتَ

أعضاؤها؛ ما بين معتقلين ومهاجرين، حتىٰ اندلاع الثورة التونسية في العام **٢٠١٠**.

في هذه المحطة؛ راجعت الحركة أفكارها ومسارها السياسي، واستطاعت أن تضيف أبعادًا جديدةً إلىٰ لغتها السياسية والفكرية خلال ما قدّمه زعيمها **الشيخ راشد الغنوشي** من كتابات ومراجعات لا تشبه فكرها حين النشأة إطلاقًا (كتاب الحريات العامة في الدولة الإسلامية، وكتاب الحركة الإسلامية ومسألة التغيير، وكتاب المرأة بين القرآن وواقع المسلمين).

وشهدت **المحطة الثالثة**، بعد الثورة التونسية، وسقوط نظام بن علي في يناير من العام **٢٠١١**، تجربة جديدة تحولت فيها **النهضة** من حركة احتجاجية إلىٰ حزب سياسي معترف به، استطاع أن يحكم **تونس** منذ العام **٢٠١١** إلىٰ العام **٢٠١٤**، بوساطة حكومتين؛ الأولىٰ: برئاسة السيد **حمادي الجبالي**، والثانية: برئاسة السيد **علي العريض**، وَفقَ صيغة ائتلافية (الترويكا)، مع حزبين علمانيين (**المؤتمر من أجل الجمهورية**، **والتكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات**). وعرفت **حركة النهضة** في هذه المحطة جملة من المتغيرات؛ أهمها: التعاطي السياسي بعقلية حاكم، وعقلية حزب أول؛ من حيث الحجمُ، والقاعدةُ الشعبية. وجعل منها هذا النوع من التعاطي السياسي؛ المسؤولَ الأول عن تأمين عملية التحول الديمقراطي إلىٰ جانب الأحزاب الأخرىٰ المشاركة في الحكم، وهي أحزابٌ حَكَمَها منطقُ التوافق السياسي،

والتنازلات السياسية في فترة لم تتجاوز ثلاث سنوات.

من خلال هذه المحطّات الثلاث المذكورة آنفًا؛ ستلقي هذه الدراسةُ الضوءَ علىٰ أهم التطورات الفكرية والتحولات السياسية التي مرت بها **حركة النهضة**، وذلك عن طريق رصد وتناول أهم الأسباب والعوامل، سواء كانت ثقافيةً أو سياسية أو اجتماعية أو تاريخية، التي تقف وراء التغيرات والمستجدات التي ألمَّت بها، وفَهم جوهر التغيير والتجديد، والمنطق السياسي الذي اعتمدته الحركة في تجربتها الدعوية بوصفها «**الجماعة الإسلامية**»، ثم في تجربتها الاحتجاجية بوصفها «الاتجاه الإسلامي»، ثم تجربتها في الحكم بوصفها «**حركة النهضة**».

- **ثانيًا: المشكلة البحثية**

تستهدف هذه الدراسة تتبع وتفسير سلوكِ **حركة النهضة** السياسي في **تونس**، باعتبارها حركة إسلامية، أو أحد مكونات الإسلام السياسي. كما تُعْنَىٰ هذه الدراسة بالتركيز علىٰ اللحظات التأسيسية لتبلور فكرها السياسي، والتحولات التي عرفها هذا الفكر، وأهم العوامل التي تفسر هذا التبلور والتحول. وتسعىٰ إلىٰ تحقيق هذه الأهداف البحثية بالالتزام بخطة بحثية تراعي السياق التاريخي لنشأة **حركة النهضة**، والظروف والمحطات التي مرت بها، بدءًا من النشأة والظهور؛ مرورًا بتبلور فكرها ومسارها السياسي من خلال الديناميات السياسية التي انخرطت فيها، سواء في محطة الصعوبات التي واجهتها في عهد **بورقيبة**، أو في محطة

الاضطهاد السياسي في عهد **زين العابدين بن علي**، وتحوله السريع إلىٰ لحظة مواجهة شاملة **لحركة النهضة**، وصولا إلىٰ اندلاع الثورة في العام **٢٠١٠**، وتوليها الحكم بعد ذلك في مرحلة تُطلق عليها تسمية المرحلة الانتقالية.

وتحاول هذه الدراسة تتبع المشاهد السابقة لتتناول سلوكيات الحركة وخطابها؛ بُغية رصد أهم التغيرات والتحولات التي طرأت علىٰ **حركة النهضة**، وتحليل أهم الأسباب التي كانت وراء ذلك.

أ- الأسئلة البحثية:

تسعىٰ هذه الدراسة إلىٰ الإجابة علىٰ الأسئلة التالية:

١- ما مدىٰ تأثُّر فكر **حركة النهضة** بالثقافة التونسية ؟

٢- هل كان للتفاعل مع قضايا المجتمع التونسي وتطوراته دورٌ في تبلور فكر **حركة النهضة** السياسي؟

٣- هل كان للثورة التونسية دورٌ في تجديد فكر **حركة النهضة**؟

٤- ما هي العوامل التي جعلت **حركة النهضة** فاعلًا رئيسًا في المعادلة السياسية بعد الثورة التونسية؟

٥- كيف انعكست تجربة **حركة النهضة** علىٰ عملية التحول الديمقراطي **في تونس** ؟

ب- الفروض العلمية:

لكي تصبح معالجة الإشكالية البحثية المطروحة ممكنة،

ستعتمد هذه الدراسة علىٰ الفرضيات التالية:

١- فرضتْ التعدديةُ الثقافية للمجتمع التونسي؛ علىٰ **حركة النهضة** المضيَّ قدمًا علىٰ طريق المراجعة الذاتية، ونقد إرثها الفكري والتاريخي.

٢- كلما تفاعلت **حركة النهضة** مع قضايا المجتمع التونسي المتنوعة؛ كلما ساعد ذلك علىٰ تجذّر وتبلور البعد السياسي في فكرها.

٣- لثورة **تونس** وتداعياتها السياسية أثرٌ في نضج فكر **حركة النهضة** السياسي.

٤- كلما اندمجت **حركة النهضة** في بيئتها السياسية، كلما كانت أكثر ميلًا نحو ترجيح خيار الانتقال الديمقراطي، وليس نحو خيار تقوية ذاتها.

- **ثالثًا: أهمية الدراسة**

لا يمكن فهم **حركة النهضة** بشكلها الحالي بعيدًا عن سياق نشأتها وتكوينها الفكري والسياسي، حيث إن هناك أبعادًا مهمة، صقلت تجربتها وأنضجتها، كالبعد الثقافي والاجتماعي والسياسي. وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز أهم التحولات، والتطورات السياسية والفكرية للحركة وأسبابها؛ خلال سبر أغوار مراحل تجربة **حركة النهضة**، بدءًا بمرحلة مخاض التجديد الفكري والتبيُّؤ؛ ومرورًا بمرحلة البحث عن الهوية، ومرحلة اختيار المسار، وانتهاءً بمرحلة الحكم بعد الثورة التونسية.

ويمكن القول: إن هذه الدراسة تطرح مسألة في غاية الأهمية؛ وهي أثر ثورات الربيع العربي في الإسلام السياسي وتحولاته، من خلال إلقاء الضوء علىٰ نموذج **حركة النهضة** باعتبارها من أوائل التيارات الإسلامية التي دخلت في تجربة الحكم في العالم العربي.

- **رابعًا: أهداف الدراسة**

تسعىٰ هذه الدراسة إلىٰ مقارنة مرحلة نشأة **حركة النهضة** مع مرحلة المشاركة السياسية وتجربة الحكم، وتناول أهم الأبعاد الثقافية، والاجتماعية والسياسية؛ لتحليل وتفسير أهم التحولات الفكرية والسياسية التي طرأت علىٰ الحركة. وانطلاقًا من المقارنة السابقة؛ سيتم تناول الموضوعات التالية:

١- انتظام وتأقلم **حركة النهضة** مع البيئة الثقافية التونسية.

٢- تحوّل **حركة النهضة** من المسار الدعوي والتبليغي إلىٰ مسار الحركة الاجتماعية الضاغطة.

٣- انتقال الحركة من الطور الاحتجاجي إلىٰ طَوْر المشاركة السياسية بعد الثورة التونسية.

٤- أثر الثورة التونسية وتجربة الحكم في رؤىٰ وخطاب **حركة النهضة** السياسي.

- **خامسًا: الدراسات السابقة**

سلَّط عديدٌ من الدراسات السابقة الضوءَ علىٰ الحركات